



المسيح الموعود وإحياء القواعد والأساليب العربية التي لا يألّفها المعاصرون

تميم أبو دقة

بهذه المعاني في كتب التراث. وقد بينّا أن تعلّمه للأساليب والتراث ظهر في تناصّه ومعارضته الشعرية والنثرية للشعر الجاهلي ومقامات الحريري وغيرها، وكيف أنه ارتقى بالنصوص وأخرجها من أغراضها التي كانت بسيطة وتافهة أو تدعو إلى الفسق والفجور إلى أغراض خدمة الإسلام، وتعاليمه وأخلاقياته وقيمه السامية، وقدّمنا الأمثلة على ذلك.

كذلك بينّا بأنه عليه السلام قد استحي الجذور المهجورة التي لم يعد يألّفها القارئ العربي المعاصر، وأدخلها في نصوصه، وكان من أهم مظاهر ذلك كتابه «سيرة الأبدال»، إضافة إلى ما ورد في الكتب الأخرى. أما الجانب الآخر من استحياء اللغة

على الإسلام يتطلب القضاء على العربية كما أن القضاء على العربية سيؤدي إلى قضم ظهر الإسلام وبداية اندثاره. وفي هذا الزمن بعث الله المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ليحيي اللغة ويعيدها إلى مجدها لتكون كما كانت دوماً عنصراً مهماً في نهضة الإسلام وتقديمه.

بينّا في السابق أن المسيح الموعود (عليه الصلاة والسلام) كان قد تعلّم أربعين ألفاً من اللغات العربية في ليلة واحدة، وهذه اللغات تعني الجذور والأساليب والنحو والصرف والتراث والأدب العربي والشعر وكذلك مختلف اللهجات العربية القديمة الأصيلة، وهذا ما يتضمنه معنى كلمة «لغات» التي كانت تستخدم

كنا قد بينّا سابقاً في العديد من المقالات أنه كان من مهام بعثة



المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إحياء اللغة في عصر كانت قد بدأت اللغة فيه تذوي ويهجرتها أهلها، بل إن بعض الملحنين من المتغربين من الكتاب والأدباء العرب في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أرادوا تسطيح اللغة وقطع صلتها بتراثها وجذورها وأصالتها وتجريدها من جمالياتها التي ازدانت بها على مدى عصورها. هؤلاء لم يكونوا يؤمنون بأن العربية هي اللغة الأسمى والأعظم بل التي تمتاز بكونها لغة إلهامية اختارها الله تعالى وفضّلها على سائر اللغات، وكانوا يرون أن القضاء

هؤلاء لم يكونوا يؤمنون بأن العربية هي اللغة الأسمى والأعظم بل التي تمتاز بكونها لغة إلهامية اختارها الله تعالى وفضلها على سائر اللغات، وكانوا يرون أن القضاء على الإسلام يتطلب القضاء على العربية كما أن القضاء على العربية سيؤدي إلى قضم ظهر الإسلام وبداية اندثاره. وفي هذا الزمن بعث الله المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ليحيي اللغة ويعيدها إلى مجدها لتكون كما كانت دوما عنصرا مهما في نهضة الإسلام وتقدمه.

ودقائقها. والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ (الكهف: ٦٠) ويقول الثعالبي: «من سنن العرب ترك حُكْمِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَحَمْلِهِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ كَمَا يَقُولُونَ: ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٌ، وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ، وَإِنَّمَا حَمَلُوهُ عَلَىٰ مَعْنَى الْإِنْسَانِ أَوْ مَعْنَى الشَّخْصِ...» وقال الله ﷻ ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ فذكر السماء وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف». (فقه اللغة وأسرار العربية، ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩) ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: «اعلم أن هذا النوع غورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح،

لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقاً من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب التراث. ولربما كان المسيح الموعود ﷺ قد استخدمها ليُظهر بعض ما حباه الله به من كنوز هذه اللغة المقدسة، إفحاماً للمشايخ الذين نعتوه بالجهل التام بهذه اللغة المباركة. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر: أولاً: ترك ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وهو كثير، كقوله ﷻ: - يا أهل أرض النبوة وجيران بيت الله العظمى (ص ٣٣) أي الكعبة العظمى. - أجد قلبي مائلاً إلى القرآن ودقائقها (ص ١٠٣) أي إلى صحيفة القرآن

فهو استحياء القواعد والأساليب غير المألوفة في العربية للقارئ العربي المعاصر، والتي هي من صميم العربية، وهذا لكي يردُّ حضرته القارئ العربي إلى التراث ويعيد هذه الأساليب وهذه القواعد إلى الحياة بعد أن هجرها المعاصرون عموماً وكرهها وعافها التسطحيون الملحدون أعداء اللغة. وعندما كنا ندقق الكتب العربية لحضرته فقد لفت نظرنا عدد من الأساليب والقواعد التي كانت تبدو غير مألوفة، ولكن بعد البحث تبين بأنها صحيحة كلها، بل وقرنا البحث عن أمثلتها في القرآن الكريم أولاً ثم الحديث الشريف ثم غير ذلك من كتب الأدب والتراث، وقد وفقنا الله تعالى للعثور على أمثلتها. وقد أثبتنا ذلك في مقدمات الطبقات الحديثة من كتب حضرته العربية التي بدأنا بإصدارها في بداية القرن الحالي. وأنقل هنا نموذجاً من كتاب التبليغ من هذه التنبيهات التي وضعناها للفت انتباه القارئ العربي وفي ذيله بعض النقاط التي وردت في مقدمات أخرى:

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد وردت في هذا الكتاب كلماتٌ وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً

ومن نظائره في التراث:
«... فبلغ رسول الله ﷺ أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن زمعة وسهيل بن عمرو قد جمعوا جماعة من القریش والأحباش بالخدمة، ليقاتلوا رسول الله ﷺ...» (ثقات ابن حيان، سنة ٨، دخوله مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الجزء الثاني صفحة ٤٩)

وأيضاً: «وأما الزبير بن عبد المطلب فكنتيته أبو الطاهر، من أجلّة القریش وفرسانها...» (المرجع السابق، السنة العاشرة: أولاد عبد المطلب صفحة ١٣٥) **خامساً:** جواز التذكير والتأنيث في المؤنث المجازي كقوله ﷺ:

يا سماء! لم لا تنشق لجسارتهم؟ ويا أرض! لم لا تنزلز لجرمتهم؟ (ص ٦٥) ونظيره في القرآن الكريم:
﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٩)
﴿السماء منفطر به﴾ (المزمل: ١٩) وقال الشاعر:

- «إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نواذر الأرض وأملاً بيوتكم منها...» (ص ٦٥) ومثاله في التراث:

عن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبد الله يقول: من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه. (الكافي، لثقة الإسلام الكليني، الجزء الثاني، كتاب



الإيمان والكفر باب كظم الغيظ. دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هـش) **رابعاً:** دخول «ال» على العلم، ومثاله قوله ﷺ:
- أهذا الذي سُفك له دمأُ سراً العرب وعظائم القریش بيدٍ (صفحة ١١٨).

وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام مثوراً أو منظوماً، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله ﷺ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجرم)» (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، الجزء الثاني، ص ١٠٢ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥).

ثانياً: تخفيف الهمزة وقلبها، وهو كثير جداً، كقوله ﷺ:

- فحن برّيون منها (ص ١٤) أي بريئون جمع بريء.
- الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطون (ص ٨٨) أي لا يخطون.

ولتخفيف الهمزة وقلبها أشكال وقواعد كثيرة في العربية (انظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، المجلد الثاني ص ١٢١ طبعة ١٩٩٤) **ثالثاً:** ورود الأفعال النادرة الاستعمال، ومثاله قوله ﷺ:

وهكذا، فقد يرى التسطيحيون الملحدون لجهلهم أن هذه الأساليب المخالفة للمألوف؛ كالتذكير والتأنيث، وترك ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وتلزييم المتعدي وتعديه اللازم في الأفعال، وقطع النعت لتقوية المعنى، ومخالفة المألوف في قواعد العدد، وجواز رفع اسم إن، وجواز إثبات حرف العلة في الاسم المنقوص عند الرفع والجر، قد يرونها أخطاء ويرفعون عقيرتهم معترضين، ولكن هذا إما يدل على جهلهم من ناحية وعلى رغبتهم في وأد اللغة وقطعها من تراثها الذي سجلته أمهات الكتب واحتفظت به.

الرفع والجر، قد يرونها أخطاء ويرفعون عقيرتهم معترضين، ولكن هذا إما يدل على جهلهم من ناحية وعلى رغبتهم في وأد اللغة وقطعها من تراثها الذي سجلته أمهات الكتب واحتفظت به. إن استحياء هذه الأساليب والقواعد هو جانب من تلك اللغات العربية التي علّمها حضرته من الأربعين ألفا، وكان واجبا أن تظهر، وقد ظهرت في هذا الجانب أيضا كما ظهرت في الجوانب الأخرى من قبل لتدمغ المنكرين.

الإحيائية المستهدفة بعناصرها المختلفة. وهكذا، فقد يرى التسطيحيون الملحدون لجهلهم أن هذه الأساليب المخالفة للمألوف؛ كالتذكير والتأنيث، وترك ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وتلزييم المتعدي وتعديه اللازم في الأفعال، وقطع النعت لتقوية المعنى، ومخالفة المألوف في قواعد العدد، وجواز رفع اسم إن، وجواز إثبات حرف العلة في الاسم المنقوص عند

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَفَّهَا
وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا
(الخصائص لابن جني، ج ٢ ص ٤١١ فصل في الحمل على المعنى، عالم الكتب بيروت)»
وهذه ليست سوى نماذج من كتابين أو ثلاثة، ويمكن للقارئ الرجوع إلى كتب حضرته العربية ومراجعة هذه المقدمات التي أوردت أمثلة من كل كتاب وقواعدها ومثيلها في القرآن الكريم أو الحديث أو كتب التراث. وبالطبع، فإن هذه الأمور لا يعرفها إلا المتعمقون في اللغة العربية الذين قد أصبحوا قلة الآن، ولكن من خلال كتابات المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ستصبح هذه الأساليب وهذه القواعد غير المألوفة مستخدمة من جديد وستؤدي إلى تلك الثورة

إن استحياء هذه الأساليب والقواعد هو جانب من تلك اللغات العربية التي علّمها حضرته من الأربعين ألفا، وكان واجبا أن تظهر، وقد ظهرت في هذا الجانب أيضا كما ظهرت في الجوانب الأخرى من قبل لتدمغ المنكرين.